١٤

آيات حمل المرأة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

Pregnancy in the Holy Qur'an – Objective Study

م. د. أحمد قاسم المشهداني

Dr. Ahmed Qasim Almashhadany

ديوان الوقف السني – الفلوجة

Sunny Waqf – Fallujah

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، حمل المرأة، الدراسة الموضوعية، التفسير، الرعاية الصحية، الوعي الديني.

Keywords: The Holy Quran, Women's Pregnancy, Objective Study, Interpretation, Health Care, Religious Awareness

الملخص

يُعَدُّ الحمل من المراحل الهامة في حياة المرأة، وقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع من جوانب متعددة وبأساليب بيانية متميزة تعكس حكمة الله ورحمته بعباده. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم فهم معمق لآيات الحمل في القرآن الكريم، من خلال تحليلها موضوعياً واستنباط الدروس والعبر المستفادة منها. وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز الجانب الروحي والبياني للقرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع الحمل، مما يساعد في تعزيز الوعي الديني والصحي لدى النساء المسلمات. كما تسعى الدراسة إلى تقديم إسهام أكاديمي في مجال الدراسات القرآنية. ويهدف البحث إلى ما يأتي: ١. تحليل آيات الحمل في القرآن الكريم: تحديد السياقات المختلفة التي وردت فيها هذه الآيات وفهم المعاني المقصودة منها. ٢. استنباط الدروس والعبر: من خلال تحليل النصوص القرآنية، نستطيع استخلاص الفوائد الروحية والأخلاقية والاجتماعية المتعلقة بفترة الحمل. ٣. تعزيز الوعي الصحي والديني: توجيه النساء المسلمات إلى الاهتمام بصحتهن النفسية والجسدية خلال فترة الحمل من خلال الاستفادة من التوجيهات القرآنية. وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الموضوعي، وستساهم هذه الدراسة في: توضيح الحكمة الإلهية في خلق وتدبير شؤون الحمل، وتقديم فهم شامل للمرأة المسلمة حول كيفية التعامل مع فترة الحمل من منظور ديني. وتعزيز الوعي بأهمية الرعاية الصحية والنفسية خلال فترة الحمل وفقاً للتوجيهات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، حمل المرأة، الدراسة الموضوعية، التفسير، الرعاية الصحية، الوعي الديني.

Abstract

Pregnancy is considered one of the important stages in a woman's life, and the Quran addresses this topic from various aspects with distinctive rhetorical methods that reflect God's wisdom and mercy towards His servants. This study aims to provide an in-depth understanding of the verses related to pregnancy in the Quran by analyzing them objectively and deriving lessons and insights from them. The importance of this study lies in highlighting the spiritual and rhetorical aspects of the Quran concerning pregnancy, which helps in enhancing religious and health awareness among Muslim women. The study also seeks to make an academic contribution to the field of Quranic studies. The research aims to: 1. Analyze the verses related to pregnancy in the Quran: Identify the different contexts in which these verses appear and understand their intended meanings. 2. Derive lessons and insights: By analyzing Quranic texts, we can extract spiritual, moral, and social benefits related to the period of pregnancy. 3. Enhance health and religious awareness: Guide Muslim women to care for their mental and physical health during pregnancy by utilizing Quranic guidance. The study relies on an objective analytical approach and will contribute to: - Clarifying the divine

wisdom in the creation and management of pregnancy matters. - Providing a comprehensive understanding for Muslim women on how to deal with the period of pregnancy from a religious perspective. - Enhancing awareness of the importance of health and psychological care during pregnancy according to Quranic guidance.

Keywords: The Holy Quran, Women's Pregnancy, Objective Study, Interpretation, Health Care, Religious Awareness.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيُعَدُّ الحمل من أسمى المراحل التي تمر بها المرأة، إذ يجسد مرحلة من التغيرات الجسدية والنفسية العميقة، والتي تُعبر عن قدرة الخالق وعظمته. وقد أولى القرآن الكريم هذه المرحلة اهتمامًا خاصًا، فتناولها من جوانب متعددة وبأساليب بيانية فريدة تعكس حكمة الله ورحمته بعباده.

وتبرز أهمية دراسة آيات حمل المرأة في القرآن الكريم من عدة نواحٍ؛ فهي ليست مجرد إشارات بيانية، بل تحمل في طياتها توجيهات تربوية وصحية ودينية تسهم في تعزيز الوعي لدى المرأة المسلمة بخصوص هذه المرحلة الهامة من حياتها. إضافةً إلى ذلك، فإن هذه الدراسة تسعى إلى فهم أعمق للأبعاد الروحية والأخلاقية والاجتماعية المرتبطة بالحمل من منظور قرآني.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المهمة:

١. تحليل آيات الحمل في القرآن الكريم: سبر أغوار النصوص القرآنية المتعلقة بالحمل وتحديد السياقات المختلفة التي وردت فيها، بهدف فهم المعاني العميقة والمقصودة من هذه الآيات.

٢. استخلاص الدروس والعبر: من خلال التحليل الموضوعي للنصوص القرآنية، يتم استخراج الفوائد الروحية والأخلاقية والاجتماعية التي يمكن أن تستفيد منها المرأة المسلمة خلال فترة الحمل.

٣. تعزيز الوعي الصحي والديني: توجيه النساء المسلمات نحو الاهتمام بصحتهن النفسية والجسدية خلال فترة الحمل، مستفيدين من التوجيهات والإرشادات القرآنية.

ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، على وفق التفسير الموضوعي، حيث سيتم جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالحمل وتحليلها في سياقاتها المختلفة باستخدام التفاسير المتعددة. وسيتم أيضًا دراسة الآراء الفقهية المتعلقة بموضوع الحمل من منظور إسلامي، وذلك لتحقيق فهم شامل ومتكامل.

إن دراسة آيات حمل المرأة في القرآن الكريم تعد إسهامًا مهمًا في مجال الدراسات القرآنية والصحية، حيث توفر رؤية متكاملة تعزز الفهم الروحي والاجتماعي لهذه المرحلة الهامة. نتمنى أن تكون هذه الدراسة مرجعًا قيمًا للباحثين والمهتمين بمجال الدراسات الإسلامية، وللنساء المسلمات بصفة خاصة.

المطلب الأول: الآية الأولى

قال تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

يخبر الله تعالى أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجه حواء، وجعل منها زوجها ليألفها ويسكن بها، فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه. ويخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك الرجل لما وطئ زوجته وجامعها حملت حملًا خفيفًا، وذلك أول الحمل، لا تشعر المرأة بثقل الحمل في بدايته، فالمرأة لا تجد له ألمًا لأن ما حملته النطفة، النطفة يعني قليلة، ثم العلقة ثم المضغة. {فَمَرَّتْ بِهِ} أي: استمرت به، أي: استمرت بالحمل. فلما صارت ذات ثقل، يعني: أصبح الحمل ثقيلًا دعوا الله ربهما لئن آتيتنا يا رب بشرًا سويًا لنكونن من الشاكرين.[1]

قال عامة أهل التأويل: "إن آدم وحواء لما أهبطا تغشاها آدم، فحملت، فأتاها إبليس فقال: يا حواء، ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: لا أدري، قال: لعله بهيمة من هذه البهائم: ناقة، أو شاة، أو بقرة، قالت: لا أدري، فأعرض عنها، فلما أثقلت أتاها فقال: كيف تجدينك؟ قالت: إني لأخاف أن يكون الذي ذكرت، ما أستطيع القيام إذا قعدت إلا بجهد، قال: أفرأيت إن دعوت الله يجعله إنسانًا مثلك ومثل آدم أتسمينه بي؟ قالت: نعم، فانصرف عنها، وقالت لآدم: لقد أتاني آت فخوفني بكذا، وإني لأخاف مما ذكر، فدعوا الله في ذلك بقوله: (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا)، يقول: جعلته إنسانًا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، فكان هذا دعاؤهما قبل أن تلد، فلما ولدت أتاها إبليس وقال: ألا تسمينه بي كما وعدتني؟ قالت: نعم، ما اسمك؟ قال: اسمي الحارث،

فسمته: عبد الحارث؛ فذلك قوله: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا)؛ على هذا حمل أهل التأويل الآية وإلى آدم وحواء صرفوها، وذلك وخش من القول، قبيح في آدم وحواء ذلك، ولو ثبت ما قالوا: إنهما سميا ولدهما باسمه ونسباه إليه، لم يكن في ذلك إشراك؛ إذ لو كان في مثله إشراك لكان فيما أضاف العبيد والمماليك إلى الخلق إشراك في ألوهيته" .[٢]

التأويل عندنا على غير ما ذهبوا إليه – والله أعلم – وهو أن قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني: من آدم، (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا): حواء، أي: خلق الذكور كلهم من آدم، وخلق الإناث كلهن من حواء؛ كقوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)، أخبر أن الأزواج خلقهن من نفس الأزواج، فلما أضاف الزوجات إلى أنفس الأزواج وأنهن من أنفسهم خلقهن؛ كان قوله: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) كل زوجة وزوج إذا تغشاها وحملت دعا آدم وحواء: (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) إذ جميع الأولاد أولادهما، يدعون الله في ذلك ليكون صالحًا؛ فمن كان مسلمًا منهما كان بدعائهما؛ فعلى هذا التأويل يحصل دعاؤهما لأولادهما الذين يولدون إلى يوم القيامة؛ لأنهما أب وأم، وقد يدعو الوالدان لأولادهما بالصلاح والخير؛ على هذا يجوز أن يخرج تأويل الآية، وأما ما قال أُولَئِكَ فهو بعيد محال، والله أعلم.[٣]

{فَلَماَّ تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} "أي فلما جامعها حملت بالجنين حملاً خفيفاً دون إزعاج لكونه نطفةً في بادئ الأمر قال أبو السعود: فإنه عند كونه نطفة أو علقة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب، والتعرضُ لذكر خفته للإشارة إلى نعمته تعالى عليهم في إنشائه إياهم متدرجين في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود، ومن الضعف إلى القوة {فَمَرَّتْ بِهِ} أي استمرت به إلى حين ميلاده {فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ} أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة لكبر الحمل في بطنها {دَّعَوَا الله رَبَّهُمَا} أي دعوا الله مربيهما ومالك أمرهما {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين} أي لئن رزقتنا ولداً صالحاً سويَّ الخِلْقة لنشكرنَّك على نعمائك" {فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً} أي فلما وهبهما الولد الصالح السويّ {جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} أي جعل هؤلاء الأولاد والذرية شركاء مع الله فعبدوا الأوثان والأصنام {فَتَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تنزّه وتقدّس الله عما ينسبه إليه المشركون.[٤]

الغشاء: غطاء الشيء الذي يستره من فوقه، والغاشية الظلة التي تظل الإنسان من سحابة أو غيرها. والتغشى كناية عن الجماع. أى فلما تغشى الزوج الذي هو الذكر الزوجة التي هي الأنثى وتدثرها لقضاء شهوتهما حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً. أى: حملت منه محمولا خفيفا وهو

الجنين في أول حملة لا تجد المرأة له ثقلا لأنه يكون نطفة ثم مضـــغة، ولا ثقل له يذكر في تلك الأحوال فَمَرَّتْ بِهِ أى: فمضـــت به إلى وقت ميلاده من غير نقصـــان ولا إســـقاط. أو المعنى: فاســـتمرت به كما كانت من قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت من غير مشـــقة وتلك هي المرحلة الأولى من مراحل الحمل. وتأمل معى– أيها القارئ الكريم– مرة أخرى قوله– تعالى: فَلَمَّا تَغَشَّـــاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً لترى ســـمو القرآن في تعبيره، وأدبه في عرض الحقائق. إن أســـلوبه يلطف ويدق عند تصـــوير العلاقة بين الزوجين، فهو يســـوقها عن طريق كناية بديعة تتناســـب مع جو السكن والمودة بين الزوجين وتتسـق مع جو السـتر الذي تدعو إليه الشـريعة الإسـلامية عند المباشـرة بين الرجل والمرأة، ولا نجد كلمة تؤدى هذه المعاني أفضـــل من كلمة تَغَشَّـــاها. ثم تأتى المرحلة الثانية من مراحل الحمل فيعبر عنها القرآن بقوله: فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صـالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِينَ. أى: فحين صـارت ذات ثقل يسـبب نمو الحمل في بطنها، فالهمزة للصيرورة كقولهم: أتمر فلان وألبن أى: صار ذا تمر ولبن.(٥)

(فَلَمَّا تَغَشَّـاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) "بيَّن حينئذ الذكر والأنثى، وأن الذي تغشـى عند اللقاء المنتج بينهما هو الذكر، وأن التي تُغشـى هي الأنثى، وبذلك تكون الثمرة الإنسـانية هي نتيجة ما بينهما، ولذا عاد الضـــمير مذكرا" ، فتغشـــى معناها: كان بينهما ما أوجبته الفطرة. ولقد ذكر سبحانه وتعالى مراتب الشعور بالحيل الذي يكون نتيجة لذلك التغشي فذكر مراتب ثلاثة: المرتبة الأولى – مرتبة الحمل في أوله، وهي مرتبة تردد وتعرُّف، فقال تعالى: (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا)، أي سهلا محتملا، ولم يمنعها من عمل، وكان من صفات هذه المرحلة أنها لم تعقها عن عمل، ولم تمنعها من أداء واجباتها المنزلية، ولذا قال تعالى: (فَمَرَّتْ بِهِ)، أي كانت تنتقل به، فـ " الباء"بمعنى " مع "، أي أنها كانت مع هذا الحمل الخفيف تروح وتغدو وتتقلب في أمور بيتها وفي شئونها.

المرتبة الثانية – هي أن يثقل حملها، وتشغل به، ولا تفكر هي وزوجها إلا فيه، وفي هذه الحال يشـــركها زوجها في شـــعورها، ورجائها ويضـــرع هو وهي إلى الله تعالى أن يجعله ذرية صـــالحة؛ ولذا قال تعالى في هذه المرحلة: (فَلَمَّا أَثْقَلَت) أي صـــارت تحمل حملا ثقيلا، ونســـب الإثقال إليها دون الجنين، مع أنه هو الذي أثقل؛ للإشـــارة إلى أن الأنس بالجنين، والفرحة به والرغبة في استقباله تنسيها ثقله، فليس ثقيلا على نفسها، وإن أثقل جسمها.

وفى هذه المرحلة كما أشـــرنا يشـــترك الزوج والزوجة في شـــعور واحد وهو الدعاء له بالســـلامة. وهنا لَا يذكر إلا هو، ولذا قال تعالى: (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَـــالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) يشتركان في الدعاء، لأنه يلتقى شعورهما، شعور الأبوة، وشعور الأمومة، ولا تفكير إلا في سلامته من الآفات، ومعنى صالحا، أي أن يولد قويا مستقيما في تكوينه سويا في خلقه، ليس به آفة من آفات الخلق والتكوين. يدعون ربهما مقســـمين بالله: لئن آتيتنا مولودا قويا سويا لنكونن من الشاكرين. والشكر هو شكر النعمة بالقيام بحقها، وعدم الكفر بها.

والمرتبة الثالثة – أن يفصل عنها، ويلقى عنها ثقلها، ويكون حق الوفاء بعهدهما قد جاء ميقاته، ويلاحظ أنهما عندما ضـــرعا إلى الله تعالى؛ عبر عن ذلك بـــــ (رَبَّهُمَا) – لأنه الخالق المربي المدبر، وهو الذي يُلجأ إليه سبحانه.(٦)

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وهي نفس آدم عليه الســـلام وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها أي من جنسـها، كقوله تعالى: وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً [الروم: ٢١] ، لِيَسْكُنَ إِلَيْها أي ليطمئن إليها ويميل، ولا ينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل، وبه آنس. وإذا كانت بعضـــا منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده، ويحبه محبة لكونه بضعة منه. وذكّر لِيَسْكُنَ بعد ما أنث في قوله واحِدَةٍ ومِنْها زَوْجَها ذهابا إلى معنى النفس، ليبين أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يســكن إلى الأنثى ويتغشـــاها، فكان التذكير أحســـن طباقا للمعنى. أفاده الزمخشـري. فَلَمَّا تَغَشَّـاها أي وطئها. و (التغشـي) كناية عن الجماع، وكذلك الغشـيان والإتيان حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً أي خف عليها، وذلك أول الحمل، لا تجد المرأة له ألما، إنما هي النطفة، ثم العلقة، ثم المضـغة فَمَرَّتْ بِهِ أي فاستمرت به خفيفة، وقامت وقعدت فَلَمَّا أَثْقَلَتْ أي صـارت ذات ثقل، لكبر الولد في بطنها دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صـــالِحاً أي ولدا ســـويا قد صـــلح بدنه، أو غلاما لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ أي على نعمائك التي منها هذه النعمة.(٧)

المطلب الثاني: الآية الثانية

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾

قيل: يعلم أنها حملت ذكرًا أو أنثى مستويًا أو غير مستوٍ مؤفًّا؛ يخبر عز وجل عن علمه وقدرته أنه لا يخفى عليه شـــيء ولا يعجزه شـــيء، فَإِنْ قِيلَ: هذا دعوى: ما الذي يعلمنا أنه يعلم ذلك؟ قيل: اتساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه؛ حيث رباه فيه وأنشأه مستويًا غير مؤفٍّ سليما عن الآفات، ونماء الجوارح كلها على الاستواء؛ لا يكون بعضـها أكبر وأعظم وبعضـها

أنقص وبعضها أتم؛ نحو العينين؛ تراهما مستويتين؛ لا زيادة في إحداهما دون الأخرى؛ بل تنموان على الاســـتواء، وكذلك اليدان والرجلان والأذنان؛ وأمثاله؛ فدل ذلك على العلم له به والتدبير. وقوله عز وجل: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ). أي: يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد. قال عامة أهل التأويل: (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ): ما تنقص عن التســـعة الأشـــهر، (وَمَا تَزْدَادُ): على التسعة الأشهر، فكان الحسن يقول: غيضوضة الرحم: أن تضع لستة أشهر أو لسبعة أشهر أو ثمانية، وأما الزيادة: فما زاد على تسعة أشهر.[٨]

{وما تغيض الأرحام وما تزداد} فيه خمســـة تأويلات: أحدها: {وما تغيض الأرحام} بالسقط الناقص {وما تزداد} بالولد التام ، قاله ابن عباس والحسن. الثاني: {وما تغيض الأرحام} بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، {وما تزداد} بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير والضـــحاك. وقال الضـــحاك: وضـــعتني أمي وقد حملتني في بطنها ســـنتين وولدتني وق خرجت ســـني. الثالث: {وما تغيض الأرحام} بانقطاع الحيض في الحمل {ما تزداد} بدم النفاس بعد الوضـــع. قال مكحول: جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل. الرابع: {وما تغيض الأرحام} بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد {وما تزداد} في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل ، لأنها كلما حاضـــت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً ، قال عكرمة وقتادة. الخامس: {وما تغيض الأرحام} من ولدته قبل {وما تزداد} من تلده من بعد ، حكاه الســدي وقتادة. {وكُلُّ شــيءٍ عنده بمقدار} فيه وجهان: أحدهما: في الرزق والأجل ، قاله قتادة. الثاني: فيما تغيض الأرحام وما تزداد ، قاله الضـــحاك. ويحتمل ثالثاً: أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية.[٩]

لفظ «ما» في قولـه: ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد إما أن تكون موصـولة وإما أن تكون مصـدرية، فإن كانت موصـولة، فالمعنى أنه يعلم ما تحمله من الولد أنه من أي الأقسام أهو ذكر أم أنثى وتام أو ناقص وحسن أو قبيح وطويل أو قصير وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة فيه.[١٠]

في هذه الآية دليل على أن الحامل تحيض، وهو مذهب مالك والشـــافعي في أحد قوليه. وقال عطاء والشـــعبي وغيرهما: لا تحيض، وبه قال أبو حنيفة، ودليله الآية. قال ابن عباس في تأويلها: إنه حيض الحبالى، وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد، وهو قول عائشة، وأنها كانت تفتي النســاء الحوامل إذا حضــن أن يتركن الصــلاة، والصــحابة إذ ذاك متوافرون، ولم ينكر منهم أحد

عليها، فصار كالإجماع، قاله «١» ابن القصار. وذكر أن رجلين تنازعا ولدا، فترافعا إلى عمر رضي الله عنه فعرضه على القافة، فألحقه القافة بهما، فعلاه عمر بالدرة، وسأل نسوة من قريش فقال: انظرن ما شأن هذا الولد؟ فقلن: إن الأول خلا بها وخلاها، فحاضت على الحمل، فظنت أن عدتها انقضت، فدخل بها الثاني، فانتعش الولد بماء الثاني، فقال عمر: الله أكبر! وألحقه بالأول، ولم يقل إن الحامل لا تحيض، ولا قال ذلك أحد من الصحابة، فدل أنه إجماع، والله أعلم. احتج المخالف بأن قال لو كان الحامل تحيض، وكان ما تراه المرأة من الدم حيضا لما صح استبراء الأمة بحيض، وهو إجماع. وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض.(١١)

المطلب الثالث: الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

الآيتان تتحدثان عن قصة مريم عليها السلام ومعاناتها أثناء حملها وولادتها لعيسى عليه السلام. ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ تشير إلى أن مريم عليها السلام حملت بعيسى عليه السلام بأمر الله تعالى. ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ انتبذت تعني ابتعدت واعتزلت الناس. مريم ابتعدت إلى مكان بعيد ومجهول خوفًا من نظرات الناس وكلامهم. ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ المخاض هو ألم الولادة. قال النسفي: قيل: انتبذت خوفًا على نفسها من القتل. وقيل: خوفًا على ولدها لو ولدته فيما بين أظهُرهم. وقيل: كما حملت أخذها المخاض، ففكَّرت فيما يقول لها الناس فانتبذت.(١٢)

وتشير الآية إلى أن مريم جاءها ألم الولادة فأجبرها على الذهاب إلى جذع النخلة لتستند عليه. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ من شدة ألم الولادة والخوف من مواجهة الناس، تمنت مريم الموت قبل أن تمر بهذه المحنة، وأن تكون نسياً منسياً، أي شيئًا منسيًا لا يتذكره أحد. وتجسد الآيتان معاناة مريم عليها السلام النفسية والجسدية خلال حملها وولادتها لعيسى عليه السلام، وتوضحان مدى الصبر والقوة التي كانت تتحلى بها في مواجهة هذا الامتحان الكبير. قال الزمخشري: طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو:

إمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل: جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل.(١٣)

وروي أنها بلغت إلى موضع كان فيه «جذع نخلة» بال يابس في أصله مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الأمر هنالك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من الآلام والتغرب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه، يا لَيْتَنِي مِتُّ ولم يجر علي هذا القدر.(١٤)

المطلب الرابع: الآية الرابعة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾.

الآيتان المذكورتان تتحدثان عن يوم القيامة وأهواله، وتنذر الناس بالتقوى والاستعداد لهذا اليوم العظيم، وفيهما نداء عام لكل البشر، بدون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن، داعياً إياهم للاستماع والانتباه. ودعوة لتقوى الله، والالتزام بأوامره، والابتعاد عن معصيته. التقوى تعني الخشية من الله والعمل بما يرضيه. وفيهما تحذير من زلزلة يوم القيامة، وهي الزلزلة الكبرى التي تهز الأرض وتكون مقدمة لقيام الساعة. هذا الحدث شيء عظيم ومهول، يتجاوز قدرة البشر على التصور. قال الطبري: "اختلف أهل العلم في وقتِ كونِ الزلزلةِ التي وصفها جلَّ ثناؤه بالشدَّةِ؛ فقال بعضُهم: هي كائنة في الدنيا قبلَ القيامة".(١٥)

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يشير إلى يوم القيامة، وهو يوم شديد الرهبة والفزع. ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي أن النساء المرضعات سينصرفن عن أطفالهن الذين يرضعنهم من شدة الهول والفزع. وأن النساء الحوامل ستسقطن أجنتهن من شدة الخوف والرعب.

قال الحسن: "تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومن قال: تكون في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته" .(١٦)

وسترى الناس وكأنهم في حالة سكر من شدة الفزع، ولكنهم ليسوا سكارى حقيقةً. والسبب وراء هذا الفزع هو شدة عذاب الله وعظمته في ذلك اليوم. وتهدف الآيتان إلى تحذير الناس من

أهوال يوم القيامة، وتشجيعهم على تقوى الله والاستعداد لذلك اليوم، حيث سيكون الفزع والرهبة عظيمين لدرجة تجعل الناس في حالة ذهول وفقدان للتركيز على أقرب الناس إليهم. قال القشيري: وترى الناس سكارى أي من هول ذلك اليوم عقولهم ذاهبة، والأحوال فى القيامة وأهوالها غالبة. وكأنهم سكارى وما هم فى الحقيقة بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، ولشدّته يحيرهم ولا يبقيهم على أحوالهم. وهم يتفقون فى تشابههم بأنهم سكارى، ولكنّ موجب ذلك يختلف فمنهم من سكره لما يصيبه من الأهوال، ومنهم من سكره لاستهلاكه فى عين الوصال كذلك فسكرهم اليوم مختلف فمنهم من سكره سكر الشراب، ومنهم من سكره سكر المحاب.. وشتّان بين سكر وسكر! سكر هو سكر أهل الغفلة، وسكر هو سكر أهل الوصلة.[١٧]

المطلب الخامس: الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

الآيتان تتحدثان عن الوصية بالإحسان إلى الوالدين وتبيان فضل الأم ومعاناتها في حمل الطفل وتربيته. إذ الله يأمر الإنسان بالإحسان إلى والديه، ويعطي هذا الأمر أهمية كبيرة في الشرع. وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ تذكير بمعاناة الأم خلال الحمل، حيث تتعرض للضعف والجهد المتزايد. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ يأمر الله تعالى من الإنسان أن يشكره هو (الله) على نعمه، وأيضًا أن يشكر والديه على ما قدماه له. وفي الآية تذكير بأن العودة والمصير النهائي هو إلى الله، مما يحث على الإلتزام بالتعليمات والوصايا. قال الماتريدي: يشبه أن يكون على الجمع في الأم دون الولد على اختلاف الأحوال، وهو في الابتداء يخف عليها الحمل، ويثقل ذلك عليها إذا دنا وقت وضعها، وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا أنها لا تزال تزداد ضعفًا فيها ووهنًا من أوّل حملها إلى وقت وضعها، وما ذكر من الكراهة فهو إذا تم حملها شق ذلك عليها، وكذلك الوضع، لا شك أن ذلك يشق عليها.[١٨]

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ تأكيد على مشقة الحمل والولادة، حيث تعاني الأم كثيرًا في هذه العملية. وتركز الآيتان على أهمية الإحسان إلى الوالدين وشكر الله على

نعمه، مع التأكيد على دور الأم ومعاناتها في حمل ورعاية الأطفال. والذي يتأمل الآيتين السابقتين يجد أن الحق سبحانه ذكر العِلّة في بِرّ الوالدين، والحيثيات التي استوجبت هذا البِرّ، لكنها خاصة بالأم، ولم تتحدث أبداً عن فضل الأب، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ. .} فأين دَوْر الأب؟ وأين مجهوداته طوال سنين تربية الأبناء؟ المتتبع لآيات بر الوالدين يجد حيثية مُجْملة ذكرت دور الأب والأم معاً في قوله تعالى: {كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً. .} لكن قبل أن يُربّي الأب، وقبل أن يبدأ دوره كان للأم الدور الأكبر؛ لذلك حينما تخاصم الأب والأم لدى القاضي على ولد لهما، قالت الأم: لقد حمله خِفّاً وحملتُه ثقلاً، ووضعه شهوة ووضعتُه كرهاً. لذلك ذكر القرآن الحيثيات الخاصة بالأم؛ لأنها تحملتها وحدها لم يشاركها فيها الزوج؛ ولأنها حيثيات سابقة لإدراك الابن فلم يشعر بها، فكأنه سبحانه وتعالى أراد أنْ يُذكّرنا بفضل الأم الذي لم ندركه ولم نُحِسّ به. وذلك على خلاف دور الأب فهو محسوس ومعروف للابن، فأبوه الذي يوفر له كل ما يحتاج إليه، وكلما طلب شيئاً قالوا: حينما يأتي أبوك، فدَوْر الأب إذن معلوم لا يحتاج إلى بيان.[١٩]

المطلب السادس: الآية السادسة

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

الآية تتحدث عن خلق الإنسان وقدرة الله وعلمه الشامل. وتبدأ الآية بتذكير الناس بأصل خلقهم، حيث خلق الله الإنسان من تراب ثم من نطفة، وهي المني الذي يتكون منه الجنين. ثم جعل البشر أزواجًا، أي ذكورًا وإناثًا، ليتمكنوا من التزاوج والتكاثر. قال الطبري: يقول تعالى ذكره: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ تُرَابٍ) يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.[٢٠]

وتؤكد الآية أن كل حمل تحمله أي أنثى وكل ولادة تحدث بعلم الله. لا يحدث شيء في خلق البشر أو تكاثرهم إلا بعلم الله وإرادته. وتشير هذه الجملة إلى أن أعمار الناس مكتوبة عند الله. لا يزيد عمر أي شخص ولا ينقص إلا بما هو مكتوب في كتاب الله (اللوح المحفوظ). هذا يعني أن حياة الإنسان وأجله مقدران بعلم الله. قال الرازي في تفسيره: وقوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إشارة إلى كمال العلم، "فإن ما في الأرحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله أحد، كيف والأم الحاملة لا تعلم منه شيئا، فلما ذكر بقوله: خلقكم من تراب كمال

قدرته بين بقوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ إرادته بقوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فبين أنه هو القادر العالم المريد والأصـــنام لا قدرة لها ولا علم ولا إرادة، فكيف يستحق شيء منها العبادة" .[٢١]

وتختتم الآية بتأكيد أن كل هذه الأمور، من خلق البشر وتقدير أعمارهم وحملهم وولادتهم، سهلة على الله. فهو القادر على كل شيء بعلمه المطلق وقدرته. وتسلط الآية الضوء على قدرة الله الشاملة وعلمه بكل تفاصيل خلق الإنسان وحياته، وتذكر الناس بأصلهم المتواضع وتحثهم على التأمل في عظمة الخالق وقدرته. قال القاسمي: وإنما سمي معمرا لما يؤول إليه. أي وما يمدّ في عمر أحد وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ وهو علمه تعالى الذي سبق. ببلوغ أصله إليه إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أي: الحفظ والزيادة أو النقص، سهل. لشمول علمه وعموم قدرته.[٢٢]

المطلب السابع: الآية السابعة

قال تعالى: ﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧﴾

الآية تتحدث عن علم الله المطلق وقدرته التي تشمل كل شيء. وتبدأ الآية بتأكيد أن علم الســـاعة، وهو وقت قيام القيامة، يختص به الله وحده. لا يعلم وقتها إلا هو، فلا أحد من المخلوقات يملك هذا العلم. وتشير هذه الجملة إلى أن الله يعلم كل ثمرة تخرج من غلافها (الكم)، سواء كان ذلك في الزرع أو في الأشجار. فكل ما يحدث في الطبيعة يكون بعلمه. قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد العالمون به علم الســاعة، فإنه لا يعلم ما قيامها غيره. (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) يقول: وما تظهر من ثمرة شـــجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة.[٢٣]

وتؤكد الآية أن الله يعلم كل حمل تحمله أي أنثى، ســواء كانت إنســانًا أو حيوانًا، ويعلم متى تلد ومتى تضع حملها. لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بعلمه وإرادته. قال السمرقندي في تفسيره: وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَـعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ يعني: إلا وهو يعلمه، ولا يعلم أحد، قبل الولادة، قبل صفته، ولا يعلم أحد بعد وضعه، كم أجله.[٢٤]

وفي يوم القيامة، سـيُسـأل المشـركون عن شـركائهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، وسيعترفون بأنهم لا يملكون أي شهود يثبتون صدق شركهم. وسيقرون بعجزهم أمام الله وأنه لا يوجد شركاء له. وتؤكد الآية على شمولية علم الله وقدرته المطلقة، وتذكر الناس بأن كل شيء

في هذا الكون يحدث بعلمه وإرادته، وتذكرهم أيضًا بموقفهم يوم القيامة حين يسألون عن شركائهم. قال القشيري: لمّا استعجلوا وقالوا: متى تقوم هذه القيامة التي يتوعّدنا بها؟ قال الله تعالى: إنّ علم القيامة ينفرد به الحقّ فلا يعلمه غيره، فكما لا يعلم أحد ما الذي يخرج من الأشجار من الثمار، وما الذي تنطوى عليه أرحام النساء من أولادها ذكورا وإناثا، وما هم عليه من أوصاف الخلقة، وما يحصل من الحيوانات من نتاجها– فلا يعلم هذه الأشياء إلا الله– فكذلك لا يعلم أحد متى تقوم القيامة. «وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي..» : يتبرءون من شركائهم، ولكن في وقت لا تنفعهم كثرة ندمهم وبكائهم.(٢٥)

المطلب الثامن: الآية الثامنة

قال تعالى: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَـٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾.

الآية تتناول أحكام العدة للنساء في حالات مختلفة، وتشير إلى النساء اللاتي بلغن سن اليأس من الحيض (أي توقف عندهن الحيض بسبب الكبر في السن). إذا شك الزوج في حالة الحيض لديهن، فعدتهن هي ثلاثة أشهر. وتحتسب هذه المدة من وقت الطلاق لتحديد انتهاء فترة العدة. وتشير هذه الجملة إلى النساء اللاتي لم يحيضن بعد، سواء بسبب صغر السن أو لأي سبب آخر. عدتهن أيضًا هي ثلاثة أشهر. قال الطبري: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (إِنِ ارْتَبْتُمْ) فقال بعضهم: معنى ذلك: إن ارتبتم بالدم الذي يظهر منها لكبرها، أمن الحيض هو، أم من الاستحاضة، فعِدَّتهنّ ثلاثة أشهر... وقيل: إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهنّ ثلاثة أشهر... وقيل: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة، فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها، فأجلها أن تضع حملها، فإن لم يستبن حملها، فحتى يستبين بها، وأقصى ذلك سنة.(٢٦)

وأما النساء الحوامل، فعدتهن تنتهي بوضع الحمل. بمعنى آخر، إذا كانت المرأة حاملًا وتم الطلاق، فإن عدتها تستمر حتى تلد الطفل. قال أهل التفسير: لَا يحل للمطلقة أَن تَقُول إِنِّي حَائِض، وَلَيْسَت بحائض [أَو تَقُول: إِنِّي حُبْلَى وَلَيْسَت بحبلى، أَو تَقُول: لست بحائض وَهِي حَائِض] أَو تَقُول: لست بحبلى، وَهِي حُبْلَى؛ لتبين من زَوجهَا قبل أَن تَنْقَضِي الْعدة، وتُضِيف الْوَلَد إِلَى

الزَّوْج الثَّانِي، وتستوجب الْمِيرَاث؛ إِذا مَاتَ الرجل [فَتَقول: لم تنقض عدتي] وَقد انْقَضتْ عدتهَا، وَالنَّفَقَة فِي الْحمل.(٢٧)

وتختتم الآية ببيان أن من يتقي الله ويعمل بأوامره، يجعل الله له مخرجًا من كل ضيق، وييسر له أموره. هذه الجملة تأتي كتشجيع للناس على التقوى والامتثال لأحكام الله. وتسعى الآية لتوضيح الأحكام الشرعية المتعلقة بالعدة للنساء في حالات معينة، وتحث على التقوى والالتزام بتعاليم الله، مما يجلب التيسير والبركة في الأمور الحياتية. قال النسفي في تفسيره: ومَن يَلزم طاعة اللَّه فيما أمره به ونهاه عنه، فذلك وإن ثقل عليه في الحال فإنَّه يجد له يُسرًا في عاقبته؛ لِمَا يأمن من عقوبة المعصية، وينال من ثواب الطَّاعة، ولذا سمَّى اللَّه الطَّاعة اليسرى، والمعصية العسرى، بقوله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٧]، وقوله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ١٠].(٢٨)

المطلب التاسع: الآية التاسعة

وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾

تتناول الآية القرآنية أحكام السكن والنفقة للنساء المطلقات، وتأمر الرجال بأن يسكنوا النساء المطلقات في نفس المكان الذي يسكنون فيه أو في مكان مناسب من إمكانياتهم المادية. ويجب أن يكون السكن ملائمًا ويتناسب مع ما يستطيع الرجل توفيره من سكن. قال الطبري: يقول تعالى ذكره: اسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم (مِنْ وُجْدِكُمْ) : يقول: من سعتكم التي تجدون؛ وإنما أمر الرجال أن يعطوهنّ مسكنًا يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عِدَهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.[٢٩]

وتحذر الآية الرجال من الإضرار بالمطلقات عن طريق تضييق السكن عليهن بقصد الإضرار بهن. ويجب أن يكون السكن مريحًا ولا يُستخدم كوسيلة للإضرار بالمطلقة. قال الماوردي: فيه قولان أحدهما: في المساكن، قاله مجاهد. الثاني: لتضيقوا عليهن في النفقة ، قاله مقاتل. مقاتل ، فعلى قول مجاهد أنه التضييق في المسكن فهو عام في حال الزوجية وفي كل عدة ، لأن السكنى للمعتدة واجبة في كل عدة في طلاق يملك فيه الرجعة أو لا يملك. وفي وجوبه في عدة الوفاة قولان؛ وعلى قول مقاتل أنه التضييق في النفقة فهو خاص في الزوجة وفي المعتدة من طلاق رجعي. وفي استحقاقها للمطلقة البائن قولان: أحدهما: لا نفقة للبائن في العدة ، وهو مذهب مالك والشافعي رحمهما الله. الثاني: لها النفقة ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.[٣٠]

وإذا كانت المطلقة حاملًا، يجب على الرجل أن ينفق عليها حتى تضع حملها. وتشمل النفقة هنا جميع مستلزمات الحياة التي تحتاجها المطلقة خلال فترة الحمل. وإذا قررت المطلقة أن ترضع الطفل بعد الولادة، يجب على الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة. وهذا الأجر يعوض المرأة عن الجهد والوقت الذي تبذله في رضاعة الطفل. قال الواحدي: وهذا بيان حكم المطلقة البائنة؛ لأن الرجعية تستحق النفقة وإن لم تكن حاملاً، وان كانت مطلقة ثلاثًا، أو مختلعة فلا نفقة لها،[٣١] إلا أن تكون حاملًا فتستحق النفقة.[٣٢]

كما تحث الآية على التعاون والتشاور بين الزوجين السابقين بروح المودة والمعروف، بما فيه مصلحة الطفل. وإذا تعذر الاتفاق بين الزوجين على ترتيبات الرضاعة، يمكن الاستعانة بامرأة أخرى تقوم برضاعة الطفل، وذلك لتجنب النزاعات والمشاكل. وتركز الآية على العدل والإنصاف في التعامل مع المطلقات، وتحث على التعاون والتفاهم بين الزوجين السابقين، خاصة عندما يكون هناك طفل بحاجة إلى الرعاية والاهتمام. قال البغوي: فإن أرضعن لكم، أي أرضعن أولادكم، فآتوهن أجورهن، على إرضاعهن، وأتمروا بينكم بمعروف، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال: مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرار، وإن تعاسرتم، في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله: فسترضع له أخرى.(٣٣)

الخاتمة

بعد دراسة آيات حمل المرأة في القرآن الكريم وتحليلها موضوعياً، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة، أبرزها:

١. تأكيد الرحمة الإلهية والعناية الخاصة بالمرأة الحامل: أظهرت الآيات القرآنية اهتماماً كبيراً بالحمل والمرأة الحامل، مما يعكس رحمة الله ورعايته للأم وللجنين.

٢. الدعوة إلى الاهتمام بالصحة النفسية والجسدية: تتضمن الآيات توجيهات تركز على أهمية الصحة النفسية والجسدية للمرأة الحامل، مما يعزز الوعي بأهمية الرعاية الصحية الشاملة خلال هذه الفترة.

٣. توجيهات تربوية وأخلاقية: تحتوي الآيات على توجيهات تربوية وأخلاقية تهدف إلى تقوية الروابط الأسرية ودعم المرأة في دورها كأم، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك ومترابط.

٤. التأكيد على الدور الاجتماعي للأسرة: تبرز الآيات أهمية دعم الأسرة للمرأة الحامل، مما يعكس دور الأسرة الكبير في توفير بيئة صحية ومناسبة للأم وللجنين.

التوصيات

بناءً على النتائج المستخلصة من البحث، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات التي تهدف إلى تعزيز الوعي الديني والصحي للمرأة المسلمة خلال فترة الحمل:

١. تعزيز البرامج التوعوية: ضرورة إطلاق برامج توعوية تستند إلى التوجيهات القرآنية، تهدف إلى رفع مستوى الوعي الصحي والنفسي بين النساء المسلمات فيما يتعلق بفترة الحمل.

٢. إدراج التعليم الديني في المناهج الدراسية: أهمية إدراج مواضيع متعلقة بالحمل والمرأة في المناهج الدراسية الإسلامية، لتعزيز الفهم الديني والصحي بين الشباب.

٣. تشجيع البحث العلمي: دعم الأبحاث والدراسات التي تركز على الجوانب الصحية والنفسية للحمل من منظور إسلامي، مما يساهم في تطوير المعرفة وتحسين الرعاية الصحية.

٤. تقديم الدعم الأسري: ضرورة تقديم برامج دعم للأسر لتعزيز دورها في توفير بيئة صحية وداعمة للمرأة الحامل، مما يساهم في تحسين الحالة النفسية والجسدية للأم.

٥. التعاون مع المؤسسات الصحية: تعزيز التعاون بين المؤسسات الدينية والصحية لتوفير خدمات متكاملة وشاملة للمرأة الحامل، تجمع بين الرعاية الصحية والإرشادات الدينية.

ختاماً، تُعَدُّ دراسة آيات حمل المرأة في القرآن الكريم دراسة هامة تعزز الفهم الروحي والاجتماعي والصحي لفترة الحمل من منظور إسلامي. نأمل أن تسهم هذه الدراسة في توجيه النساء المسلمات نحو الاهتمام بصحتهن ونفسيتهن خلال فترة الحمل، وأن تكون مرجعاً قيماً للباحثين والمختصين في مجال الدراسات الإسلامية والصحية. نسأل الله أن يوفقنا في تقديم الفائدة والعلم النافع، وأن يجعل هذا البحث خطوة نحو تحقيق التوعية والتوجيه الصحيح في مجتمعنا الإسلامي.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

٢. الأم: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ) دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م (وأعادوا تصويرها ١٤١٠ هـ –١٩٩٠ م)

٣. بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي

٤. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م

٥. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ط١ ، ١٤٣٠ هـ

٦. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د.ت.

٧. تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

٨. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣ ، ١٤١٩ هـ

٩. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأعداد ٨٥ – ١٠٠ السنوات ٢٢ – ٢٥ المحرم ١٤١٠ – ذو الحجة ١٤١٣ هـ

١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى

١١. تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، سنة ١٤١٩هـ

١٢. التيسير في التفسير: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ – ٥٣٧ هـ) المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٤. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة

١٥. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي

١٦. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

١٧. فتح الباري بشرح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ – ١٣٩٠ هـ

١٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي

١٩. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣

٢٠. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١ ، ١٤١٨ هـ

٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤٢٢ هـ

٢٢. المُحلَّى بالآثار: أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي [الظاهري، ت ٤٥٦ هـ] المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وكتب مقدمتها سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م، دار الفكر – بيروت، دون تاريخ نشر

٢٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ

٢٤. المغني: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ – ٦٢٠ هـ) على مختصر: أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي (المتوفى ٣٣٤ هـ) تحقيق: طه الزيني – ومحمود عبد الوهاب فايد – وعبد القادر عطا [ت ١٤٠٣ هـ]– ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) – (١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م)

٢٥. مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٢٧. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

(١) التفسير الموضوعي: ١٤٩.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري: ١٠/ ٦١٨ ، تفسير عبد الرزاق: ٢/ ١٠٣ ، تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٦٣١.
(٣) تأويلات أهل السنة: ٥/ ١١٣.
(٤) صفوة التفاسير: ١/ ٤٥٢.
(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي: ٤٥/ ٤٥٣.
(٦) زهرة التفاسير: ٦/ ٣٠٣٠.
(٧) محاسن التأويل: ٥/ ٢٣٤.
(٨) تأويلات أهل السنة: ٦/ ٣١٣.
(٩) النكت والعيون: ٣/ ٩٧.
(١٠) مفاتيح الغيب: ١٩/ ١٤.
(١١) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٨٦.
(١٢) التيسير في التفسير: ١٠/ ١٨١.
(١٣) الكشاف: ٣/ ١١.
(١٤) المحرر الوجيز: ٤/ ١٠.
(١٥) جامع البيان: ١٦/ ٤٤٦.
(١٦) معالم التنزيل: ٣/ ٣٢٢.
(١٧) لطائف الإشارات: ٢/ ٥٢٩.
(١٨) تأويلات أهل السنة: ٩/ ٢٤٥.
(١٩) تفسير الشعراوي: ١٤/ ٨٤٥٦.
(٢٠) جامع البيان: ٢٠/ ٤٤٧.
(٢١) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٢٢٧.
(٢٢) محاسن التأويل: ٨/ ١٦٢.
(٢٣) جامع البيان: ٢١/ ٤٨٧.
(٢٤) بحر العلوم:
(٢٥) لطائف الإشارات: ٣/ ٣٣٧.
(٢٦) جامع البيان: ٢٣/ ٤٥٠.
(٢٧) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين:
(٢٨) التيسير في التفسير: ١٤/ ٤٦٧.
(٢٩) جامع البيان: ٢٣/ ٤٥٦.
(٣٠) النكت والعيون: ٦/ ٣٤.
(٣١) ينظر: الأم" ٥/ ٩٧، و"أحكام القرآن" للجصاص ٣/ ٤٥٩، و"المغني" ١١/ ٣٠١، و"شرح النووي على مسلم" ١٠/ ٩٥، و"المحلى" ١٠/ ٢٨٨، و"فتح الباري" ٩/ ٤٨٠.
(٣٢) التفسير البسيط: ٢١/ ٥١٥.
(٣٣) معالم التنزيل: ٥/ ١١٣ – ١١٤.